الشفاعة بين مثبتيها ومنكريها في ضوء معتقد أهل السنة والجماعة

الباحثة / روان يوسف حامد محمد فرحان الرشيدي

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فإن موضوع الشفاعة أحد الموضوعات المهمة التي يجب على المسلم معرفتها، والإيمان بها، وبما ورد فيها من أخبار صحيحة ثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن معرفتها تزيد المؤمن إيماناً وحباً لله -سبحانه وتعالى- ولرسوله- صلى الله عليه وسلم-، ويتبين له من خلالها فضل الله -عز وجل- وكرامة رسولنا - صلى الله عليه وسلم - وسماحة ديننا الحنيف.

وقد اهتم علماء السلف رحمهم الله تعالى بموضوع الشفاعة فلا يكاد يخلو كتاب من كتب أهل العلم من ذكرها وخاصة كتب العقيدة فما من كتابٍ إلا وموضوع الشفاعة أحد موضوعاته، وهذا يدل على أهميتها، ولمّا كان ذلك كذلك ارتأيتُ أن أميط اللثام عن هذا الموضوع في ضوء معتقد أهل السنة والجماعة ؛ بياناً لمنهجهم فيه من ناحيةٍ، ورداً على مخالفيهم من أهل البدع من ناحيةٍ أخرى، سائلة الله لي ولكم التوفيق والسداد.

أهمية البحث:

لاشك أن سبيل النجاة هو اتباع منهج السلف الصالح الذين تمسكوا بالكتاب الكريم والسنة الشريفة، ولأن الشفاعة أحد أمور اليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان فلا بد من معرفة وفهم الشفاعة كما فهمها السلف الصالح المتمسكون بالكتاب والسنة، وتكمن أهمية البحث فيما يلي:

- أن الشفاعة من الأمور المطلوبة والمحبوبة، ولكن البعض قد تجاوز في المبالغة فيها أو الجفاء عنها جهلاً بحجيتها، الأمر الذي يؤكدُ الحاجة الماسة لمعرفة معنى الشفاعة عند أهل السنة والجماعة.

- معرفة أن للشفاعة شروطاً لا تتحقق إلا بوجودها .

– معرفة الانحرافات العقدية في الشفاعة عند الفرق المنتسبة للإسلام، ومقارنة ذلك بمعتقد أهل السنة والجماعة.

– انتشار الشفاعات المنفية التي نهى عنها الرسول– صلى الله عليه وسلم– في كثير من أنحاء العالم الإسلامي حتى أصبح شيئاً مألوفاً، وكأنها من الدين، وهي ليست منه في شيئ .

– الآثار الخطيرة والمفاسد العظيمة التي تؤدي إليها الشفاعات المنفية، وأعظمها الوقوع في الشرك الأكبر.

أسباب اختيار موضوع البحث:

لا شك أن الشفاعة حقيقة نطقت بها نصوص القرآن الكريم، وتواترت بها السنة النبوية المطهرة، وأكدها علماء الإسلام في دراساتهم العقدية، ولا يمكن إنكارها، ومع ذلك فقد حصل انحرافات، وأثيرت حولها الشبهات بغية التشكيك فيها، وإنكار بعض مسائلها من قِبلِ أهل البدع، بسبب غلوهم في إثباتها أو نفيها دون التوسط بين ذلك كما توسط في ذلك أهل السنة والجماعة، فلا بد من توضيح ذلك كما جاء في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة وما قاله وكتبه أهل العلم .

خطة البحث:

وتشتمل على تمهيد ومبحثين على النحو التالي :

التمهيد: ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: تعريف الشفاعة لغةً.

المسألة الثانية: تعريف الشفاعة اصطلاحاً.

المبحث الأول: الشفاعة عند أهل السنة والجماعة ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: أدلة ثبوت الشفاعة ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: الأدلَّة في القرآن الكريم.

المسألة الثانية: الأدلَّة في السنة الشريفة المطهرة.

المطلب الثاني: شروط الشفاعة، وأسباب حصولها ومنعها، ويشتمل على ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: شروط الشفاعة.

المسألة الثانية: أسباب الحصول على الشفاعة.

المسألة الثالثة: الأسباب المانعة من الحصول على الشفاعة.

المطلب الثالث: أقسام الشفاعة، ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: الشفاعة المثبتة وتشتمل على ثلاثة فروع:

الفرع الأول: المراد بالشفاعة المثبتة.

الفرع الثاني: شروط الشفاعة المثبتة.

الفرع الثالث: الأدلة على الشفاعة المثبتة.

المسألة الثانية: الشفاعة المنفية، وتشتمل على فرعين:

الفرع الأول: المراد بالشفاعة المنفية.

الفرع الثاني: اتخاذ الشفعاء شرك.

المطلب الرابع: أنواع الشفاعة، ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: الشفاعة الخاصة بالرسول –صلى الله عليه وسلم– دون غيره، وتشتمل على ثلاثة فروع:

الفرع الأول: الشفاعة العظمى.

الفرع الثاني: شفاعة الرسول– صلى الله عليه وسلم– في أول من يقرع بـــاب الجنَّة.

الفرع الثالث: شفاعة الرسول– صلى الله عليه وسلم– في أهل الجنَّة.

الفرع الرابع: شفاعة الرسول– صلى الله عليه وسلم– في تخفيف العذاب عـــن عمّه أبي طالب.

المسألة الثانية: الشفاعة العامة للرسول –صلى الله عليـــه وســـلم–، ولجميـــع المؤمنين، وتشتمل على ثلاثة فروع:

الفرع الأول: الشفاعة العامة فيمن استحق النار أن لا يدخلها.

الفرع الثاني: الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها.

الفرع الثالث: الشفاعة في رفع درجات المؤمنين.

المبحث الثاني: الشفاعة عند المبتدعة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الفرق التي نفت الشفاعة بالكلية وهم (الخـــوارج والمعتزلـــة)، ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: مذهبهم في الشفاعة.

المسألة الثانية: شبههم، والرد عليها.

المطلب الثاني: الفرق التي غلت في إثبات الشفاعة وهم (القبوريـــون ومنهـــا الروافض والصوفية) ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: مذهبهم في الشفاعة.

المسألة الثانية: شبههم، والرد عليها.

منهج البحث: يُعدُ المنهجُ التحليلي النقدي المنهج الأنسب لهذه الدراسة، إذ بالتحليل يمكنني الوقوف على منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الشفاعة، وبالنقد يمكنني الوقوف على ما يعتور منهج المخالفين في الشفاعة من مآخذ، كما أنني سأقوم بما يلي :

– عزو الآيات القرآنية إلى مظانها بذكر اسم السورة مع ذكر رقم الآية.

– تخريج الأحاديث النبوية، وذلك عن طريق ذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة التي ورد فيها الحديث الشريف.

– بيان معاني الكلمات الغريبة في الهامش – إن وجدت – .

– الحرص على تتبع المصادر والمراجع القديمة لأصالتها والاستفادة منها.

حدود البحث:

تتمثلُ أهم عناصر البحث فيما يلي: تعريف الشفاعة عند أهل السنة والجماعة، وشروط تحقيقها، وأقسامها، ومفهومها عند أهل البدع المخالفين، والوقوف على شبههم، والرد عليها .

مشكلات البحث: ومن أهمها: فهم الشفاعة فهماً خاطئاً وغامضاً عند أهل البدع، وغلوهم في فهم نصوص الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة.

الخاتمة: وستتضمن أهم النتائج التي سيكشف عنها البحث .

ثم ثبت المصادر والمراجع .

ثم محتوى البحث .

التمهيد: ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: تعريف الشفاعة لغةً.

اللغويون يقولون : إن كلمة شفع (الشين والفاء والعين) أصل يدل على مقارنة الشيئين وانضمامهما، ومن ذلك الشفع خلاف الوتر، لأن الشافع انضم إلى طالب الشفاعة، فصيره شفيعاً بعد أن كان وتراً، والشفاعة طلب النصرة والعون [١].

ويقال أيضاً: شفع الوتر من العدد شفعاً: أي صيره زوجاً [٢].

ويقال: استشفع بفلان على فلان: أي استعان به عليه وإليه وفيه: أي سأله أن يشفع له عنده [٣] . وقال النابغة:

أتاك أمرٌ ومستبطنٌ لي بغضَّه له من عدوٍ مثلُ ذلك شافعُ [٤].

المسألة الثانية: تعريف الشفاعة اصطلاحاً.

عرفت الشفاعة اصطلاحاً بتعاريف عديدة، ومن تلك التعريفات ما يلي:-

الشفاعة: أن يلجأ صاحب الحاجة إلى مقرب ذي سلطان ليقضي له حاجته [٥].

وقيل: إن الشفاعة تحمل معنى الضم والإعانة للمشفوع له، فسعيك لآخر في حاجة له عند عظيم شفاعة وأنت شفيع، وذلك الآخر مشفوع له ذلك العظيم مشفوع إليه، وقضاء تلك الحاجة تشفيع [٦]، وعرفها ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث بقوله : السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم [٧].

---

١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة، تحقيق / عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩ ه – ١٩٧٩م (٣/ ٢٠٠-٢٠١).

٢) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري : لسان العرب، دار صادر، بيروت ،٨/ ١٨٣).

٣) فاكهه البستان ،٧٣٧/١).

٤) النابغة الذبياني وهو زياد بن معاوية بن ضباب، شاعر جاهلي، وكان أحسن الشعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو، انظر كتاب الشفاعة في ضوء القرآن والسنة، لمهجه غالب).

٥)محمد أحمد العدوي : الشرح الجديد لجوهرة التوحيد، مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى ١٣٦٦ ه ص ١٤٠.

٦) زكريا علي يوسف : الإيمان وآثاره والشرك ومظاهره ، مكتبة السلام العالمية للطبع والنشر والتوزيع ص١٣٦.

٧) أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري : النهاية في غريب الحديث، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ،٤٨٥/٢).

المبحث الأول: الشفاعة عند أهل السنة والجماعة، وتشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: أدلة ثبوت الشفاعة، ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: الأدلَّة في القرآن الكريم.

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الشفاعة ثابتة بالكتاب الكريم، والسنة الشريفة المطهرة وإجماع الأمة، ومن أدلة القرآن الكريم في إثبات الشفاعة:

قوله تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}[١]، وقوله تعالى: {مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ}[٢]، وقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ}[٣]، وقوله تعالى: {وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[٤]، وقوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا}[٥].

فهذه الآيات القرآنية وغيرها كثير تدل على ثبوت الشفاعة.

المسألة الثانية: الأدلَّة في السنة الشريفة المطهرة.

أما أدلة ثبوت الشفاعة من السنة الشريفة المطهرة فهي كثيرة جداً، وسأذكر بعضاً منها على النحو التالي:- جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –قال: (لكل نبي دعوة قد دعاها فاستجيب، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)[٦].

وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع)[٧]. كما جاء أيضاً في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (أما أهل النار الذين أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم- أو قال بخطاياهم- فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر

---

١) سورة البقرة ٢٥٥).

٢) سورة يونس ٣).

٣) سورة الأنبياء ٢٨).

٤) سورة الزخرف ٨٦).

٥) سورة طه ١٠٩).

٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات ،١٤٥/٧)، صحيح مسلم كتاب الإيمان ،١٩٠/١).

٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل ،١٧٨٢/٤).

ضبائر[1] فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ...)[2].

المطلب الثاني: شروط الشفاعة،وأسباب حصولها ومنعها،ويشتمل على ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: شروط الشفاعة.

لا تتحقق الشفاعة إلا بثلاثة شروط [3]، وهي كما يلي:

١-إذن الله- تعالى- للشافع أن يشفع.

٢-رضاه- تعالى- عن المشفوع.

٣-لا يرضى الله - تعالى- إلا عن أهل التوحيد.

وقد سمّى ابن القيم رحمه الله هذه الشروط أصولاً، حيث قال: (فهذه ثلاثة أصول: لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله)[4].

هذه هي شروطها على الإجمال، وتفصيلها على النحو التالي :

أولاً: إذن الله- تعالى- للشافع أن يشفع.

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}[5]، وقوله تعالى: {وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}[6].

فالله- تبارك وتعالى - لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وهو وحده مالك الشفاعة كما أن الأمر كله له - سبحانه وتعالى -، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ}[7]، وقال الله - تعالى - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ }[8]، وذلك الإذن يتعلق - كما يقول الحكمي - بالشافع والمشفوع فيه، وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له بالشفاعة، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له، وليس له

---

١) أي جماعات في تفرقه، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر والأثير،٣/٧١).

٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ،١/١٧٢).

٣) دكتور ناصر الجديع : الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها، دار أطلس الخضراء، الرياض، الطبعة الثالثة ٢٤٣٠ ه - ٢٠٠٩ م ص ٢٣ .

٤) ابن القيم : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣ ه - ١٩٧٣ م ،١/٣٤١).

٥) سورة البقرة ٢٥٥).

٦) سورة سبأ ٢٣).

٧) سورة آل عمران ١٥٤).

٨) سورة آل عمران ١٢٨).

أن يشفع إلا فيمن أذن الله – تعالى – له أن يشفع فيه [١]. ولهذا قال الله عن يوم القيامة {يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا}[٢]، جاء في تفسير الإمام البغوي– رحمه الله تعالى – : (أي لا تنفع الشفاعة أحداً من الناس، إلا من أذن الله له أن يشفع ورضي قوله، قال ابن عباس: يعني قال لا إله إلا الله، وهذا يدل على أنه لا يشفع غير المؤمن)[٣]. فالملائكة والأنبياء والصالحون وإن كانوا لا يملكون الشفاعة إلا من بعد أذن الله – تبارك وتعالى– لهم بأن يشفعوا، فإن شفاعتهم تكون للمؤمنين الموحدين لله– تبارك وتعالى – أي من أهل التوحيد، ولا يشفعون لمن قال هذه الكلمة تقليداً للآباء والشيوخ [٤].

ثانياً: رضا الله تعالى عن المشفوع له.

يقول الله– تعالى– : {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ}[٥]، ويقول – عزَّ وجلَّ – : {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ}[٦]، وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حين أنزل عليه({وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}[٧] :

يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله، سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً)[٨].

فلا يجوز الاتكال على نيل الشفاعة من الأقارب ونحوهم من الشفعاء، ومن أراد الشفاعة فعليه التأهل لها بالأعمال الصالحة التي ترضي الله – تعالى –، حتى يرضى الله – تعالى– عنه.

---

١) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق / عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م ،٢/٢٥٠).

٢) سورة طه١٠٩)

٣) البغوي : معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م ،٣/ ٢٣٢).

٤) شيخ الإسلام ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ،١٤/ ٤٠٩) بتصرف .

٥) سورة الأنبياء ٢٨).

٦) سورة النجم ٢٦).

٧) سورة الشعراء ٢١٤).

٨) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب الوصايا ،١٩٠/٣)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، ١٩٢/١).

ثالثاً: لا يرضى الله – تعالى – إلا عن أهل التوحيد.

ليست الشفاعة في يوم القيامة عامة لجميع البشر مؤمنهم وكافرهم، وإنما خاصة بالمؤمنين الموحدين الذين ماتوا على ذلك، ومن الأدلة على أن الشفاعة خاصةٌ بأهل التوحيد ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :(لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه)[1]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة– رضي الله عنه – أنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (لكل نبي دعوة مستجابة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة – إن شاء الله – من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً)[2].

فالذي يستحق الشفاعة هو من شهد أن لا إله إلا الله، ومات على ذلك، فمن تولى الله– تبارك وتعالى – نال الشفاعة، ومن تولى غير الله من الملائكة والأنبياء والصالحين، وحج إلى قبره ونذره له وحلف به وقرب له قرابين ليشفع له، لم يغن ذلك عنه من الله شيئاً بل أنه مشرك لا ينال الشفاعة البتة. وجاء في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ما نصه : الشفاعة للكفار بالنجاة من النار والاستغفار لهم مع موتهم على الكفر، لا تنفعهم ولو كان الشفيع أعظم الشفعاء جاهاً– فلا شفيع أعظم من محمد– صلى الله عليه وسلم – ثم الخليل إبراهيم [3]، وقد يستشكل على البعض أن النبي محمداً – صلى الله عليه وسلم – شفع لعمه أبي طالب، فكيف يقال عدم انتفاع الكفار بالشفاعة بخلاف انتفاع أهل التوحيد؟ ويُجاب على ذلك بما يلي :

١–الشفاعة في أبي طالب شفاعة تخفيف لا إخراج من النار ودخول الجنة.

٢–أن عدم انتفاع الكفار بالشفاعة عام على جميع الكفار، وقد خُص عم النبي محمد من ذلك، فهذه شفاعة خاصة للنبي أعطاها الله له ليشفع لعمه الذي وقف معه في جميع أموره.

---

١) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب.... ،٣٣/١).

٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب...،١٨٩/١).

٣) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ج / ٣ ص ٤٧

المسألة الثانية: أسباب الحصول على الشفاعة.

قد بيّنت فيما سبق أن الشفاعة لا تتحقق إلا بشروط، مستدلة بأدلة من الكتاب والسنة الشريفة المطهرة، والآن سأذكر الأسباب التي تؤدي إلى الشفاعة مع العلم أنه لابد من تحقيق الشروط لكي يصبح السبب سبباً لحصول الشفاعة، ومن هذه الأسباب التي إذا فعلها صاحبها بإخلاص وموافقة للشروط ينالها بإذن الله، وهي كما يلي:

أولاً: التوحيد وإخلاص العبادة لله – تعالى– .

جاء في الحديث أن النبي– صلى الله عليه وسلم – لما سئل: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ أجاب بقوله : (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه)[1]، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: الشفاعة سببها توحيد الله، وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له، فكل من كان أعظم إخلاصاً كان أحق بالشفاعة، كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة، وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي يرحم الله من يرحم من عباده، وأحق الناس برحمته هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص (لا إله إلا الله) علماً وعقيدةً وعملاً وبراءةً، وموالاةً ومعاداةً، كان أحق بالرحمة)[2].

ثانياً: شفاعة قراءة القرآن.

أصحاب القرآن هم أهل الله وخاصته الذين اختص الله لهم الشفاعة بسبب القرآن، فإن القرآن يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، قال مسلم، حدثنا معاوية عن زيد أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني أبو أُمامة قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة)[3]. أخرج الحاكم في مستدركه: عن معقل بن يسار– رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : (اعملوا بالقرآن، أحلوا حلاله وحرموا حرامه، واقتدوا به، ولا تكفروا بشيء منه، وما تشابه به عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولي الأمر من بعدي، كيما يخبروكم، وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور، وما أوتي النبيون من ربهم، وليسعكم القرآن فإنه شافع مشفع، وما

---

١) سبق تخريجه ص ١٠

٢) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ،١٤/٤١٤)

٣) أخرجه مسلم في صحيحه ،١٠/٥٥٣)

حل مصدق، ألا ولكل آية نور يوم القيامة، وإني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول..)[١]. فأصحاب القرآن الذين يتلونه ويتدبرونه ويعملون به، هم الذين يشفع لهم القرآن فهو شافع مشفع كما قال النبي- صلى الله عليه وسلم-.

ثالثاً: سكنى المدينة المنورة، والموت بها.

قال الإمام مسلم: حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشارة في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها، وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال له ويحك لآمرك بذلك، إني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول:(لا يصبر أحد على لأوائها فيموت، إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً)[٢]، وجاء في صحيح مسلم أنه قال: حدثنا نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقول: (من صبر على لأوائها كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة)[٣]، ففي هذه الأحاديث ما يدل على فضيلة من سكن المدينة المنورة والموت بها، بل إن هذه من أسباب الحصول على الشفاعة.

رابعاً: الصلاة على النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، جاء عن مسلم أنه قال: عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة)[٤]، وجاء في صحيح البخاري عن جابر بن عبدالله أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: من قال حين يسمع النداء: (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة)[٥]، فمن حافظ على هذا الدعاء بعد كل أذان، فهو موعود بالشفاعة يوم القيامة من قبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فالصلاة على خير البشر سبب يؤدي إلى الحصول على الشفاعة بإذن الله.

---

١) أخرجه الحاكم في مستدركه ،٥٦٨/١)، كتاب فضائل القرآن، وقال فيه الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ،١٠٠٢/٢).

٣) أخرجه مسلم في صحيحه، ،٢/ ١٠٠٤).

٤) أخرجه في صحيحه ،٢٨٨/١).

٥) أخرجه البخاري في صحيحه ،٩٤/٢).

خامساً: صلاة جماعة من المسلمين على الميت المسلم الموحد لله – تبارك وتعالى –، جاء في صحيح مسلم عن عبدالله بن يزيد– رضيع عائشة– عن عائشة – رضي الله عنها – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة ليشفعون له إلا شفعوا فيه)[١]، فصلاة الجماعة على المسلم الذي مات على التوحيد سببٌ للشفاعة بإذن الله .

سادساً: الصيام.

ما رواه عبدالله بن عمرو– رضي الله عنهما – : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفّعني فيه، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفّعني فيه، قال فيشفعان)[٢]، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم –: إن لله أهلين من الناس قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: (هم أهل القرآن أهل الله وخاصته)[٣].

سابعاً: كثرة السجود.

والمراد بالسجود هو سجود الصلاة ؛ لأن السجود فيه التواضع لله، وقمة العبودية له – تعالى–، وقد جاء في صحيح مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: كنت أبيت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي (سل فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: (أو غير ذلك؟) قلت: هو ذاك، قال: (فأعنّي على نفسك بكثرة السجود)[٤].

مسألة: هل زيارة قبر الرسول– صلى الله عليه وسلم– من أسباب الشفاعة، ذكر بعضهم أن من أسباب الشفاعة زيارة قبر الرسول – صلى الله عليه وسلم–، واستدلوا بأحاديث منسوبة له – صلى الله عليه وسلم–، وسأذكر بعضها كما يلي:

قال الإمام سليمان بن داوود الطيالسي– رحمه الله – كما في ترتيب المسند: حدثنا نوار[٥] بن ميمون أبو الجراح العبدي قال: حدثني رجل من آل عمر عن عمر

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز ،٢/٦٥٤).

٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ،٢/ ١٧٤)، والحاكم في المستدرك،١/ ٥٤٤)، وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أنس ج /٣ ص ١٢٣، حديث رقم / ١٢٣٢٠ .

٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة ،١/٣٥٣).

٥) في ترتيب المسند: نوار وفي الصارم : سوار وفي البيهقي: سوار، أخرجه البيهقي وقال: هذا إسناد مجهول، وقال الحافظ الكبير محمد بن أحمد عبد الهادي في كتابه الصارم: هذا الحديث ليس بصحيح.

قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (من زار قبري أو قال من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً، ومن مات في أحد الحرمين، بعثه الله من الآمنين يوم القيامة)[١]، وجاء في الدارقطني أنه قال: عن عبدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (من زار قبري وجبت له شفاعتي)[٢].

فهذه أحاديث منسوبة للنبي – صلى الله عليه وسلم – وليست صحيحة يستدل بها أهل البدع الذين يلوون أعناق النصوص لتشهد لهم على ما يذهبون إليه ، وقد بيّن العلماءُ فساد ذلك، وأوضحوا أن الواجب عند زيارة قبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – دعاء الله، والصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم –، وترك ما يفعله أهل البدع من التبرك، وطلب الشفاعة بغير الله، ولاشك أن زيارة قبره – صلى الله عليه وسلم – من الأمور المشروعة دون شدّ رحال، لكن القول أنها من أسباب الشفاعة لم يثبت به دليل.

المسألة الثالثة: الأسباب المانعة من الحصول على الشفاعة.

عن أبي الدرداء يقول: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة)[٣]، وقال الشيخ السفاريني في كتابة لوامع الأنوار[٤]: (فيمن لا تدركهم الشفاعة ويحرمون شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – ؛ لاتصافهم بالبدع، أخرج أبو نعيم عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة المرجئة والقدرية)[٥]، ومما يستدل على ذلك أيضاً حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: (من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب)[٦]، وأخرج البيهقي عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (من غش العرب لم يدخل في شفاعتي)[٧].

---

١) ترتيب المسند ،٢٢٨/١).

٢) الدارقطني ،٢٧٨/٢).

٣) صحيح مسلم ،٢٠٠٦/٤).

٤) السفاريني : لوامع الأنوار البهية، ووسواطع الأسرار الأثرية ، مؤسسة الخافقين، دمشق ، بدون تاريخ ،٢١٦/٢)

٥) أخرجه الترمذي في السنة، باب القدر، وإسناده منقطع كما ذكر ابن الأثير في جامع الأصول ،١٣٠/١٠).

٦) أخرجه الإمام الآجري في الشريعة ص،٣٣٧)، انظر الشفاعة للوادعي ص ،٢٥٧).

٧) أخرجه الترمذي باب فضل العرب، كتاب المناقب، وقال الترمذي هذا حديث غريب، انظر جامع الأصول ،٢٢٤/٩).

المطلب الثالث: أقسام الشفاعة، ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: الشفاعة المثبتة، وتشتمل على ثلاثة فروع:

الفرع الأول: المراد بالشفاعة المثبتة : وهي شفاعة أهل التوحيد والإخلاص بشروط الشفاعة، وهي إذن الله – تعالى – ورضاه عن الشافع والمشفوع له ويكون من أهل التوحيد، أي هي الشفاعة التي تُطلب من الله – تعالى – ؛ لأنه – عز وجل – قال: {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا}(١)، وإذا كانت الشفاعة ملكاً لله – عز وجل – فلا تُطلب إلا منه، وطلبها منه– سبحانه وتعالى – يشترط لها شروط كما سنبينه في الفرع الثاني.

الفرع الثاني: شروط الشفاعة المثبتة.

فلا تتحقق الشفاعة إلا بثلاثة شروط (٢)، وهي كما يلي:

١–إذن الله – تعالى – للشافع أن يشفع.

٢–رضاه تعالى عن المشفوع.

٣–لا يرضى الله – تعالى – إلا عن أهل التوحيد.

وقد سمى ابن القيم – رحمه الله – هذه الشروط أصولاً، حيث قال: (فهذه ثلاثة أصول: لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده وإتباع رسوله)(٣).

وذكرت بالتفصيل كل شرط من هذه الشروط لتحقيق الشفاعة في الصفحات السابقة.

الفرع الثالث: الأدلة على الشفاعة المثبتة.

قال تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}(٤).

قال تعالى: {مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ}(٥).

قال تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ}(٦).

قال تعالى: {وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ}(٧).

---

١) سورة الزمر ٤٤).

٢) دكتور ناصر الجديع : الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها . ص ٦٧ .

٣) ابن القيم : مدارج السالكين ،٣٤١/١).

٤) سورة البقرة ٢٥٥).

٥) سورة يونس ٣).

٦) سورة الأنبياء ٢٨).

٧) سورة الزخرف ٨٦).

قال تعالى: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى}[1].

هذه هي بعض أدلة ثبوت الشفاعة المثبتة متضمنة شروط تحقيقها .

المسألة الثانية: الشفاعة المنفية، وتشتمل على فرعين:

الفرع الأول: المراد بالشفاعة المنفية.

هي ما كان فيها شرك، فكل شفاعة فيها شرك فإنها منفية [2]، هي ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وقوله تعالى: {وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ}[3]، وقوله تعالى: {فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ}[4]، وكما قال تعالى: {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}[5]، وهي كالشفاعة التي يعتقدها أهل الشرك في معبوداتهم وآلهتهم فإنهم ما عبدوهم إلا لاعتقادهم أنها تشفع لهم عند الله، وأنها واسطة بينهم وبينه – سبحانه – قال تعالى : {أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}[6].

الفرع الثاني: اتخاذ الشفعاء شرك.

قال تعالى: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ}[7]، وقوله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}[8].

فبين الله – تعالى – في هذه الآيات وأمثالها أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه منتف، وممتنع، وأن اتخاذهم شفعاء شرك، يتنزه الرب – تعالى – عنه، وقد قال تعالى: {فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ

---

١) سورة النجم ٢٦).

٢) الشيخ / محمد الصالح بن عثيمين : القول المفيد على كتاب التوحيد، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية ١٤٣٤ ه ص ٣٤٦ .

٣) سورة البقرة ١٢٣).

٤) سورة الشعراء ١٠٠-١٠١).

٥) سورة الأنعام ٥١).

٦) سورة الزمر ٣).

٧) سورة الزمر ٤٣).

٨) سورة يونس ١٨).

إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}[1]، فبين تعالى أن دعواهم أنهم يشفعون لهم بتأليههم، وأن ذلك منهم إفك وافتراء، وقوله تعالى: {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا}[2]، أي هو مالكها فليس لمن يطلب منه شيء منها، وإنما تطلب ممن يملكها دون كل من سواه، لأن ذلك عبادة وتأليه لا يصلح إلا لله. قال البيضاوي: لعله رد لما عسى أن يجيبوا به، وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون [3]، وقوله تعالى: {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[4]، تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه ؛ لأنه مالك الملك، فاندرج في ذلك ملك الشفاعة، فإذا كان هو مالكها بطل أن تُطلب ممن لا يملكها قال تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ}[5]، وقال ابن كثير: قوله تعالى: {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ}[6]، كقوله تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}[7]، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله ؟ وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنته جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه)[8]، قال تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}[9]، قال ابن القيم – رحمه الله – في الكلام عن هذه الآيات: وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن شريكاً كان معيناً له وظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده، فنفى الله سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً، متنقلاً من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه – تعالى –، فنفى الله كل ما يتعلق

---

١) سورة الأحقاف ٢٨).

٢) سورة الزمر ٤٤).

٣) عبد الرحمن بن حسن التميمي : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٧ ه – ١٩٥٧ م ص٢٧٩.

٤) سورة البقرة ١٠٧).

٥) سورة البقرة ٢٥٥).

٦) سورة النجم ٢٦).

٧) سورة البقرة ٢٥٥).

٨) عبد الرحمن بن حسن التميمي : القول المفيد على كتاب التوحيد ص ٣٢٩

٩) سورة سبأ ٢٢-٢٣).

به المشركون أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب – تعالى – بالشفاعة، أما الشفاعة التي يظنها المشركون فهي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن الكريم من الآيات الكريمة التي ذكرتها سابقاً).

المطلب الرابع: أنواع الشفاعة ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: الشفاعة الخاصة بالرسول – صلى الله عليه وسلم – دون غيره، وتشتمل على ثلاثة فروع:

الفرع الأول: الشفاعة العظمى.

للنبي– صلى الله عليه وسلم– شفاعات خاصة به ومنها، الشفاعة العظمى وهي : المقام المحمود الذي وعده الله – تعالى– به، فإن الخلائق يلحقهم يوم القيامة في ذلك الموقف العظيم من الغم والكرب مالا يطيقونه، فيقول بعضهم لبعض : اطلبوا من يشفع لنا عند الله، فيذهبون إلى آدم– عليه السلام – أبي البشر، فيتذكرون من أوصافه التي ميَّزه الله بها: أن الله خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وعلّمه أسماء كل شيء، فيقولون: اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه، فيعتذر بأنه عصى الله تعالى بأكله من الشجرة، ومعلوم أن الشافع إذا كان عنده شيء يخدش كرامته عند المشفوع إليه، فإنه لا يشفع لخجله من ذلك، مع أن آدم قد تاب الله – تعالى – عليه واجتباه، ثم يذهبون إلى نوح –عليه السلام –، ويذكرون أوصافه التي امتاز بها، بأنه أول رسول أرسله الله إلى الأرض، فيعتذر بأنه سأل الله ما لا ليس له به علم حين قال: {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ}[1]، ثم يذهبون إلى إبراهيم – عليه السلام –، فيذكرون من صفاته، ثم يعتذر بأنه كذب ثلاث كذبات، والكذبات الثلاث فسرت بما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، اثنين منهن في ذات الله قوله: {فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ}[2]وقوله: {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا}[3] والثالثة ذكر قوله عن امرأته سارة أنها أختي)[4]، لكنها حق حسب مراده، ثم يذهبون إلى موسى – عليه السلام– فيتذكرون من أوصافه، ما يقتضي أن يشفع، لكنه يعتذر بقتل نفس لم يؤمر بقتلها وهي نفس القبطي حين استغاثة الإسرائيلي فوكز موسى القبطي فقتله فقضى عليه، ثم يذهبون إلى عيسى – عليه السلام–

---

١) سورة هود ٤٥).

٢) سورة الصافات ٨٩).

٣) سورة الأنبياء ٦٣).

٤) صحيح البخاري ،٣٣٥٨/١)، صحيح مسلم ،٢٣٧١/١).

فيذكرون من أوصافه ما يقتضي أن يشفع فلا يعتذر بشيء، ولكن يحيل إلى من هو أعلى منه مقاماً فيقول: اذهبوا إلى محمد عبدٌ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيحيلهم إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – دون أن يذكر عذراً يحول بينه وبين الشفاعة، فيأتون محمداً فيشفع إلى الله ليريح أهل الموقف)[1] فكان من رحمة الله للعالمين أن أرسل رسولاً ونبياً، قال – صلى الله عليه وسلم – : أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي، نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)[2]، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : أُتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بلحم فُرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهم منها نهمه ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينقذهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب، ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم، فيأتون آدم – عليه السلام – فيقولون له :أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا، فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وأنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً، فيقولون يا نوح : إنك أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول: إن ربي – عز وجل – قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وأنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضباً، لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات، فذكرهن أبو حبان في الحديث، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون يا

---

١) من حديث أبي هريرة ، الشفاعة)، صحيح البخاري، باب ذرية من حملنا مع نوح، كتاب التفسير،٣/٢٥٠)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان،١/١٨٤).

٢) صحيح البخاري كتاب الصلاة،١/١١٩)، صحيح مسلم كتاب المساجد،٥/٣-٤).

موسى : أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى : أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبياً اشفع لنا، ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد – صلى الله عليه وسلم –، فيأتون محمداً– صلى الله عليه وسلم – فيقولون يا محمد : أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، فأنطلق فآتى تحت العرش، فأقع ساجداً لربي – عز وجل –، ثم يفتح الله علي من محامده، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحدٌ قبلي، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهو شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب)[1].

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على ثبوت الشفاعة العظمى للنبي– صلى الله عليه وسلم – للفصل بين الخلق عندما يشتد الموقف، ويخيم الحزن والسقم على جميع البشرية، فهذه الشفاعة التي يتأخر عنها جميع أولي العزم – عليهم الصلاة والسلام –، حتى تنتهي إليه– صلى الله عليه وسلم – فيقول : (أنا لها)، وهذه الشفاعة هي أعظم الشفاعات على قول أكثر العلماء[2] وهي المقام المحمود الذي وعد الله – عز وجل – نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – في قوله تعالى: {عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}[3].

---

١) صحيح البخاري،كتاب التفسير باب سوره بني اسرائيل ،١٠٥/٦-١٠٦-١٠٧)، صحيح مسلم كتاب الإيمان تحت عنوان ، الشفاعة)،،٦٥/٣-٦٦-٦٧-٦٨-٦٩).

٢) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة،٧٢٤/٢)، تفسير ابن جرير الطبري،١٤٣/١٦)، وكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي ،١١١٢/٦).

٣) سورة الإسراء ٧٩).

الفرع الثاني: شفاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في أول من يقرع باب الجنَّة.

جاء في صحيح مسلم أحاديث تدل على أن أول من يقرع(يفتح) باب الجنة هو الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم –، ومنها:

–عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً)[١]. وجاء – أيضاً – عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة)[٢]، وكذلك جاء عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك)[٣]، فهذه الأحاديث تدل على أن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –هو أول من يفتح باب الجنة، وهذا خاص به – عليه الصلاة والسلام –، وفي ذلك يقول ابن تيمية – رحمه الله – عن هذه الشفاعة والتي قبلها (الشفاعة العظمى) : (وهاتان الشفاعتان خاصتان له صلى الله عليه وسلم)[٤]، وجاء عن الترمذي من حديث ابن عباس قال: (جلس ناس من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – ينتظرونه قال: فخرج حتى دنا منهم، سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم فقال بعضهم : عجباً أن الله من خلقه خليلاً، اتخذ إبراهيم خليلاً، وقال آخر ما ذلك بأعجب من كليمه موسى كلمه تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله فخرج عليهم، فسلم وقال: سمعت كلامكم وعجبكم، أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجى الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا من يحرك حلقه الجنة فيفتح لي فأدخلها، ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر)[٥].

---

١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي أنا أول الناس،،١/١٨٨).

٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي أنا أول الناس،،١/١٨٨).

٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي أنا أول الناس،،١/١٨٨).

٤) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ،٣/١٤٧).

٥) ابن القيم : حادي الأرواح إلى بلتاد الأفراح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ج/١ ص ٧٦ .

الفرع الثالث: شفاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في أهل الجنَّة.

وهي تعني شفاعته في دخول أهل الجنة الجنة، بعد الفراغ من الحساب، أي أنهم قد استحقوا دخول الجنة بيد أنهم لا يؤذن لهم بدخولها إلا بعد شفاعته عليه – الصلاة والسلام –، فهذه الشفاعة جعلها الله خاصة لنبينا، وفيها كرامةً له ولأمته ؛ لأنهم إذا عبروا الصراط ووصلوا إليها وجدوها مغلقة، فيطلبون من يشفع لهم، فيشفع النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – إلى الله، ومما يدل على ذلك : قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا}[1] فقال (وفتحت) فهناك شيء محذوف، أي وحصل من الشفاعة، وفتحت الأبواب، أما النار فقال فيها: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا}[2]).

ومن الأدلة على هذه الشفاعة حديث أنس بن مالك أنه قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبيٌ من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد)[3]، وحديث أبي هريرة أن رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم– قال: (لكل نبي دعوة يدعوها فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)[4]، فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أول الشفعاء لدخول أهل الجنة الجنة.

الفرع الرابع: شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في تخفيف العذاب عن عمّه أبي طالب، وهذه الشفاعة خاصة بالنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – لعمه أبي طالب، والدليل على ذلك: ما جاء في الصحيحين، عن العباس بن عبد المطلب قال للنبي– صلى الله عليه وسلم – : (ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)[5]، وجاء في الصحيحين أيضاً عن أبي سعيد الخدري أنه قال: سمع النبي – صلى الله عليه وسلم –، وذكر عنده عمه، فقال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه)، وهذان الحديثان يدلان على أن أبا طالب مات كافراً، إذ لو كان مسلماً لخرج من النار مع الموحدين، وقد ظهر لنا أن سبب شفاعة الرسول

---

١) سورة الزمر ٧٣).

٢) سورة الزمر ٧١)، رواه ابن جرير في الجامع ٢/٣٣٠).

٣) صحيح مسلم ١٩٦).

٤) سبق تخريجه٠

٥) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب،٤/٢٤٧)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي لأبي طالب،١/١٩٥).

لعمه في تخفيف العذاب عنه، هو دفاعه عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ونصرته له، (وقد أحسن إلى الرسول إحساناً كبيراً مشهوراً، وكان من حكمة الله – عز وجل – أن بقي على كفره ؛ لأنه لولا كفره، ما استطاع الدفاع عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – بل كان يؤذَى كما يؤذَى الرسول، ولكن لجاهه العظيم عند قريش، وبقائه على دينهم صاروا يعظمونه، وصار للنبي – عليه الصلاه والسلام – جانب من الحماية بذلك)[1]،حتى ورد أنه أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة، فقد جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل بنعلين، يغلي منهما دماغه)[2]، وهذه الشفاعة خاصة بالرسول – صلى الله عليه وسلم – لا أحد يشفع في كافر أبداً إلا النبي – صلى الله عليه وسلم –، ومع ذلك لم تقبل الشفاعة كاملة، وإنما هي تخفيف فقط.

المسألة الثانية: الشفاعة العامة للرسول – صلى الله عليه وسلم– ولجميع المؤمنين، وتشتمل على ثلاثة فروع:

الفرع الأول: الشفاعة العامة فيمن استحق النار أن لا يدخلها.

وهذا النوع من أنواع الشفاعة في الآخرة هو لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهذا قد يستدل بقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: (ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفعهم الله فيه)[3]، فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك، وقد استدل الإمام ابن كثير في كتابه النهاية في الفتن والملاحم على حصول هذه الشفاعة بحديثين في كتاب الأهوال: الحديث الأول : عن عبدالله بن الحارث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (أمر بقوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، قال: فيقولون: يا محمد ننشدك الشفاعة، قال: فآمر الملائكة أن يقفوا بهم، قال: فأنطلق وأستأذن على الرب – عز وجل –، فيؤذن لي، فأسجد وأقول: رب قوم من أمتي قد أمرت بهم إلى النار، قال: فيقول: انطلق فأخرج من شاء الله أن أخرج، ثم ينادي الباقون: يا محمد ننشدك الشفاعة، فأرجع إلى الرب فأستأذن فيؤذن لي، فأسجد فيقول: ارفع رأسك وسل تعط ـــ، واشفع تشفع، فأقوم فأثني على الله بثناء لم يثن عليه أحد، ثم أقول: قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، فيقول: انطلق فأخرج منهم من قال لا إله إلا الله فأقول: ومن كان في

---

١) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية،١/٥٤١).

٢) صحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً،١/١٩٦).

٣) صحيح مسلم،كتاب جنائز، باب من صلى عليه أربعون،٢/٦٥٥).

قلبه مثقال حبة من إيمان، قال فيقول: يا محمد ليست تلك لك، تلك لي، قال: فأنطلق فأخرج من شاء الله أن أخرج، قال: ويبقى قوم فيدخلون النار، فيعيرهم أهل النار، فيقولون: أنتم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به، وقد أدخلكم النار، قال: فيحزنون لذلك، قال: فيبعث الله ملكاً بكف من ماء، فينضح بها في النار، فلا يبقى أحد من أهل لا إله إلا الله، إلا وقعت في وجهة فطرة، قال: فيعرفون بها، ويغبطهم أهل النار، ثم يخرجون فيدخلون الجنة، فيقال لهم، انطلقوا، فيضيفون الناس فلو أن جميعهم نزلوا برجل واحد كان لهم عنده سعة، ويسمون المجردين)[1]، ثم قال ابن كثير (وهذا السياق يقتضي تعدد الشفاعة فيمن أمر بهم إلى النار ثلاث مرات ألا يدخلوها، ويكون معنى قوله: فأخرج أي أنقذ بدليل قوله بعد ذلك (ويبقى قوم فيدخلون النار والله – تعالى – أعلم)[2].

الحديث الثاني: عن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (ينصب للأنبياء يوم القيامة منابر من ذهب فيجلسون عليها، قال: ويبقى منبري لا أجلس عليه، قائماً بين يدي الله – عز وجل –، منتصباً بأمتي، مخافة أن يبعث بي إلى الجنة، ويبقى أمتي بعدي، فأقول: يا رب أمتي، فيقول الله: يا محمد، وما تريد أن أصنع بأمتك؟ فأقول: يا رب عجل حسابهم، فيدعوا بهم فيحاسبون، فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله – تعالى –، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، وما أزال أشفع حتى أعطى صكاكاً برجال قد بعث بهم إلى النار، حتى إن مالكاً خازن جهنم ليقول: يا محمد يا ...)[3]، وقال الإمام ابن قيم الجوزية في عون المعبود : لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر، إنما تكون بعد دخولهم النار، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول، فلا يدخلوها فلم أظفر فيه بنص)[4].

ولعل من أثبت الشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها، أخذ بعموم هذه الأحاديث، والتوقف على ذلك وعدم الجزم بوقع هذه الشفاعة من باب أولى، وذلك لعدم وجود أحاديث صحيحة وصريحة.

الفرع الثاني: الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها.

---

١) هذا الحديث ضعيف لإرساله وفي إسناده اسماعيل بن عبيد بن عمر بن أبي كريمة،، تهذيب التهذيب ٣١٨/١-٣١٩).

٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف، بيروت ١٤١٠ ه – ١٩٩٠ م ،٢٠٤/٢-٢٠٦).

٣) أخرجه الطبراني في الكبير ،٣٨٥/١٠) وفي الأوسط مجمع البحرين،١١٩/٨)، واللفظ أخرجه الحاكم في المستدرك ،٦٦/١، كتاب الإيمان وقال هذا صحيح الإسناد.

٤) عون المعبود، شرح سنن أب داود ،٧٧/١٣-٧٨).

وهذه الشفاعة لا تختص بالنبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، بل هي عامة له ولغيرة من عباد الله، لكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو المقدم فيها، فلا يشفع أحد من الخلق في مثل ما يشفع فيه الرسول– صلى الله عليه وسلم–، فقد تواترت الأحاديث بذلك، وأجمع عليها أهل الملة ولم ينكرها إلا أهل البدع، والمراد بالشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها، وهم العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم، فيشفع الرسول – صلى الله عليه وسلم – وغيره لإخراجهم من النار بعد دخولها، قال ابن تيمية : وأما دخول كثير من أهل الكبائر النار فهذا مما تواترت به السنن عن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، كما تواترت بخروجهم من النار، وشفاعة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – في أهل الكبائر، وإخراج من يخرج من النار بشفاعة نبينا محمد وشفاعة غيره)[1].

ومن الأحاديث ما جاء في الصحيحين من حديث معبد بن هلال قال: اجتمعنا ناس من أهل البصرة، فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره، فوافقناه يصلي الضحى، فاستأذنا فأذن لنا، وهو قاعد على فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة: فقال: يا أبا حمزه هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوا يسألونك عن حديث الشفاعة فقال: حدثنا محمد – صلى الله عليه وسلم – قال: إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى فيقول لست لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى فيقول لست لها، ولكن عليكم بمحمد – صلى الله عليه وسلم –، فيأتون محمد فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه شعيرة من إيمان، فانطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر ساجداً فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل) فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن وهو متوار في منزل أبي حنيفة،

---

١) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ج/١١ ص ١٠٤ .

فحدثنا بما حدثنا به أنس بن مالك فأتيناه فسلمنا عليه، فأذن لنا فقلنا له: يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نر منك ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه فحدثناه بالحديث فانتهى إلى هذا الموضع فقال هيه، فقلنا: لم يزد لنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو جميع[1] منذ عشرين سنة، فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلوا، فقلنا يا أبا سعيد فحدثناه، فضحك وقال:{وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً}[2] ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم، حدثني كما حدثكم به، قال: ثم أعود الرابعة فأحمد بتلك، ثم أخر ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يارب ائذن فيمن قال لا إله إلا الله فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله)[3].

وجاء في الصحيحين من حديث عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبرهما أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: (هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيدعوهم، فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: (اللهم سلم سلم) وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من تجردل ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة مقبل بوجهه قبل النار، فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، وقد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيقول: هل

---

١) أي مجمع العقل وهو إشارة إلى أنه كان حينئذ لم يدخل في الكبر الذي هو مظنه تفرق الذهن، زحدوث اختلاط الحفظ، انظر كتاب الشفاعة لأبي عبدالرحمن الوادعي.

٢) سورة الإسراء ١١).

٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب شفاعة الرب يوم القيامة،٢٠٢/٨)،صحيح مسلم، كتاب الإيمان واللفظ للبخاري،١٨٢/١).

عسيت إن فعل ذلك أن تسأل غير ذلك، فيقول: لا وعزتك فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها، سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة، فيقول الله له: ألست قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت تسأل؟ فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك، فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره؟ فيقول لا وعزتك لا أسأل غير ذلك، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما بها من النضرة والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا رب أدخلني الجنة، فيقول الله: ويحك يابن آدم، ما أغدرك، أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ فبيقول: يارب لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله – عز وجل منه –، ثم يأذن له في دخول الجنة، فيقول: تمنَّ، فيتمنى حتى إذا انقطع أمنيته، قال الله – عز وجل – : من كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأماني قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه)[1]، وجاء عن البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يخرج قوم من النار بشفاعة محمد – صلى الله عليه وسلم – فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين)[2].

الفرع الثالث: الشفاعة في رفع درجات المؤمنين.

وهذه الشفاعة في رفع درجات أقوام أهل الجنة وتكون من دعاء المؤمنين بعضهم لبعض فهي عامة للرسول ولغيره، والدليل على ذلك ما ورد من حديث أبي موسى الأشعري على جيش إلى أوطاس، فرمي أبو عامر بسهم في ركبته، فقال لأبي موسى: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي، قال واستعملني أبو عامر على الناس، ومكث يسيراً ثم مات، فلما رجعت إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – دخلت عليه فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلت له: قال قل له: يستغفر لي، فدعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بماء فتوضأ منه، ثم رفع يديه، ثم قال:(اللهم اغفر لعبيد أبي عامر، حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال:(اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك أو من الناس) فقلت: ولي يا رسول الله فاستغفر، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –:(اللهم اغفر

---

١)أخرجه الخاري،٢/٢٩٢)،ومسلم ،١/١٦٣-١٦٤).

٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفه الجنه والنار،٧/٢٠٣).

لعبدالله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً)[١]، وجاء في صحيح مسلم من حديث أم سلمة أن – النبي صلى الله عليه وسلم – دعا لأبي سلمة لما توفي فقال: اللهم اغفر لأبي سلمه، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين[٢] واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه)[٣]، ودعاء المؤمن لأخيه إنما هي شفاعة كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه)[٤]، وقال الإمام الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: ({فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}[٥]، أن الآية تدل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لأنها تزيد في درجات المرتضيين)[٦].

المبحث الثاني: الشفاعة عند المبتدعة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الفرق التي نفت الشفاعة بالكلية وهم (الخوارج والمعتزلة) ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: مذهبهم في الشفاعة:

عقيدة أهل السنة والجماعة: في مرتكب الكبيرة من أهل التوحيد أنه إذا فعل كبيرة فإنه لا يخرج من الإسلام، ولا يخلد في النار حتى لو مات على الكبيرة بدون توبة، بل هو مؤمن بإيمانه، عاصٍ لله، فاسق في الدنيا بكبيرته، وفي الآخرة يبقى تحت مشيئة الله، إن شاء عفى وغفر له، وإن شاء عذبه، فلا يخلد في نار جهنم . أما مذهب الخوارج في الشفاعة فإنهم ينكرون شفاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأهل الكبائر، يقول ابن تيمية : أما الخوارج فأنكروا شفاعته لأهل الكبائر، ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات)[٧]، فقد أنكر الخوارج هذه الشفاعة في عصر الصحابة، وأنكرها المعتزلة في عصر التابعين، وسبب إنكارهم ذلك هو قضية خلود من دخل النار من عصاة الموحدين، (فعندهم أن من دخل النار

---

١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس،١٠١/٥)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة،باب فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريي،١٩٤٣/٤).

٢) الباقيين من ذريته.

٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز،باب في اغماض الميت والدعاء له،٦٣٤/٢).

٤) صحيح مسلم،كتاب الجنائز،باب من صلى عليه أربعون،٦٥٥/٢).

٥) سورة المدثر ٤٨).

٦) الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، دار الكتاب العربي ـــ بيروت، ١٤٠٧ ه ،١٨٧/٤).

٧) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ،١٤٨/١)، .

فليس بخارج منها)[١]، ويقول أحد مشايخهم الذين يعتدون بهم بنص صريح على موقفهم من الشفاعة فيقول: (ومن ذلك شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – لا تكون لمن مات مصراً غير تائب، إنما الشفاعة لمن مات على صغيرة، أو مات وقد نسي ذنباً أن يتوب منه، أو لزيادة درجة في الجنة، أو لتخفيف الموقف على المؤمنين وإراحتهم منه إلى الجنة)[٢]، فأصل إنكارهم لشفاعة الرسول لأهل الكبائر هو إيمانهم بمبدأ من مبادئهم العامة، وهو اعتبار مرتكب الكبيرة كافراً خارج من الإسلام، فكيف يخرج من النار؟ بل مخلدون فيها، واستدلوا بأدلة من القرآن الكريم يظنون أنها توافق قولهم بسبب سوء فهمهم لآيات القرآن الكريم، وسوء فهمهم لنصوص النبي – صلى الله عليه وسلم – ولاعتمادهم على العقل في تحكيم النصوص واتباع الأهواء والشهوات ظنوا هذه الظنون وهو وجوب تكفير أصحاب الكبيرة وخلودهم في النار، ومن أدلتهم التي يستدلون بها : ما جاء من حديث أبي عاصم(محمد بن أبي أيوب) قال: (حدثني يزيد الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبدالله يحدث القوم – جالس إلى سارية – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين، قال: فقلنا له: يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تقول ؟، قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد – عليه السلام – ؟ (يعني الذي يبعثه الله فيه)قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد – صلى الله عليه وسلم – المحمود الذي يخرج الله به من يخرج، قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه..قال: فيرى أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها.. فرجعنا، قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ؟ فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد)[٣].

ومن أدلتهم التي يستندون عليها من القرآن الكريم في تكفير مرتكب الكبيرة وفهموها حسب أهوائهم، ما يلي:

---

١) الآجري : الشريعة ،٣٣١/١).

٢) الشيخ / سالم بن حمد بن سليمان الحارثي : العقود الفضية في أصول الإباظية ، المكتبة السعيدية، الطبعة الثانية ١٤٣٨ه – ٢٠١٧ م ص٢٨٥-٢٨٦

٣)صحيح مسلم، كتاب الإيمان،١٧٩/١).

١-قوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}[١]، قالوا: إن الفاسق لا يجوز أن يكون ممن ابيضت وجوههم فوجب أن يكون ممن اسودت وجوههم، ووجب من ثمّ أن يسمى كافراً)[٢].

٢-قوله تعالى: {أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ}[٣]، قالوا: (هذه الآية بحق من خفت موازينه، ووجه الاستدلال بهذه الآية هو: أن الفاسق ممن خفت موازينه، وكل من خفت موازينه فهو مكذب مشرك)، واستدلالهم بهذه الآيات واضح فيه تمسكهم بظواهرها، وعدم فهم مقاصد الآيات التي تصف مرتكب الكبيرة بأنه مؤمن(بل جميع احتجاجاتهم أما تصف حال المؤمنين أو الكافرين).

أما مذهب المعتزلة في الشفاعة فهم أيضاً ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر: تجتمع المعتزلة بخلود مرتكب الكبائر في النار، دون خروجه من مسمى الإيمان، حيث أنه في منزلة ما بين المنزلتين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مرتكب الكبيرة عند المعتزلة: (والمعتزلة ينفون عنه اسم الإيمان بالكلية، واسم الإسلام أيضاً، ويقولون: ليس معه شيء من الإيمان والإسلام، ويقولون: تنزلة منزلة بين المنزلتين، فهم يقولون أنه يخلد في النار ولا يخرج منها بالشفاعة، وهذا هو الذي أنكر عليهم وإلا لو نفوا مطلق الاسم وأثبتوا معه شيئاً من الإيمان يخرج به من النار لم يكونوا مبتدعة)[٤]، وها هو قول أحد الذين يعتدون بهم وهو القاضي عبدالجبار في كتابه شرح الأصول الخمسة: (هو أن شفاعة الفساق الذين ماتوا على الفسوق ولم يتوبوا يتنزل منزلة الشفاعة لمن قتل ولد وترصد الآخر بقتله، فكما أن ذلك يقبح فكذلك ههنا)[٥]، يقصد أن الفساق مرتكبي الكبائر مخلدون في النار لا تجوز لهم الشفاعة، قال محمد بن نصر المروزي مبيناً سبب ضلال المعتزلة أنها (قد غلت في تأويل هذه الأخبار التي جاءت

---

١) ،سورة آل عمران ١٠٦).

٢) أحمد محمد أحمد جلي : دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين : الخوالرج والشيعة، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٠٦ ه - ١٩٨٦ م ص٥٠-٦٠.

٣) سورة المؤمنون ١٠٥).

٤) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ،٧/٢٥٧-٢٥٨).

٥) القاضي عبدالجبار : شرح الأصول الخمسة، حققه وقدم له دكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبه، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٩٦ م ،١/٦٨٨).

في نفي الإيمان عمن ارتكب الكبائر من أهل الأهواء والبدع)[1]، فمذهب الخوارج والمعتزلة مبنيٌ على إنكار الشفاعة خصوصاً للموحدين الذين استوجبوا النار بذنوبهم فهم ينكرون شفاعة النبي لهم بدخولهم الجنة بعد إخراجهم من النار، وأصل ذلك الإنكار هو أصولهم (الفاسدة من استحقاق العقل المبني على التحسين والتقبيح كما قاله القرطبي)[2].

المسألة الثانية: شبههم، والرد عليها.

اعتمد كلٌ من المعتزلة والخوارج على شبه نقلية وأخرى عقلية للتدليل على أن الشفاعة لا تحصل لأهل الكبائر، فأبدأ أولاً – بإذن الله – تعالى بشبه الخوارج والمعتزلة النقلية:

الشبهة الأولى: احتجاجهم بآيات الوعيد في القرآن الكريم التي تدل على عموم تعذيب أصحاب الذنوب، وعدم إخراجهم من النار.

وهذا رأي فاسد لمذهب باطل انبنى على أصلهم المشهور وهو تخليد أصحاب الكبائر في النار، وعدم خروجهم منها ؛ وذلك لأن الخوارج تكفّر أصحاب الكبائر بخلاف المعتزلة الذين يخرجونهم من مسمى الإيمان، ولا يدخلونهم في الكفر فهم في منزلة ما بين المنزلتين[3]، فقد قال القاضي عبدالجبار : فقد دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام، فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي محمد– صلى الله عليه وسلم –، ومما يدل على ذلك قوله تعال: {أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ}[4])[5].

ونجده في موضع آخر من كتبه يذكر وجه الاستدلال فيقول: إن هذه الآية تدل على أنه – صلى الله عليه وسلم – لا يشفع للفجار والفساق ؛ لأنه لو شفع لهم لوجب أن يكون منقذاً من النار، وقد نفى الله تعالى عنه ذلك)[6].

الرد على هذه الشبهة من عدة أوجه كما يلي:

---

١) موسم منير مبارك النفيعي : الامام محمد بن نصر المروزي جهوده في بيان عقيدة السلف، دار الوطن، مكة المكرمة، السعودية ١٤١٤ ه ،٧٢٥/٢).

٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، تحقيق / حمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م ،٣١٠/١٠)،بتصرف .

٣) القاضي عبدالجبار : شرح الأصول الخمسة ،٦٩٥/١).

٤) سورة الزمر ١٩).

٥) القاضي عبدالجبار : شرح الأصول الخمسة ،٦٨٩/١).

٦) القاضي عبدالجبار : متشابه القرآن، تحقيق دكتور عدنان محمد زرزور، مكتبة دار التراث، بدون تاريخ ،٥٩٢/٢).

أولاً: أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وجميع الأئمة متفقون بتقرير ما تواتر به الأحاديث الصحيحة من أن الله يخرج من النار قوماً من العصاة المؤمنين بعد أن يعذبهم الله ما شاء أن يعذبهم، فمذهب أهل السنة والجماعة على أن أهل الكبائر ممن ماتوا على الإيمان لا يخلدون في النار، إنما هم تحت مشيئة الله تعالى.

ثانياً: أن الآيات التي احتج بها المنكرون إنما هي آيات خاصة للكفار فقط، يقول الإمام البيهقي: (آيات التخليد كلها في الكفار)[1]، وكذلك ما ورد في كتاب تمهيد الأوائل للباقلاني حيث يقول: (جميع هذه الآيات وما كان بمعناها يراد بها أهل الكفر والجحد والتكذيب، ولم يعن بهذا الوعيد أحداً من أهل الإسلام)[2]، وقال الإمام أبو بكر الآجري: إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأً فاحشاً، وذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر، فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحدين)[3].

ثالثاً: لو أمكن الاستدلال بعمومات الوعيد، والأخذ بظاهرها لأمكن مثله في قوله تعالى: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[4]، فلو أخذتم بذلك وأجبتم إلى هذا الكلام لزمكم القول بأن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر)[5].

الشبهة الثانية: احتجاجهم بنصوص الوعيد في الكتاب والسنة الدالة على التصريح بالخلود في النار، أو الحرمان من الجنة لمرتكبي بعض المعاصي، وأن في هذا دلالة على عدم إمكان الشفاعة لهم يوم القيامة حيث استدلوا بقوله تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}[6]، ووجه الاستدلال: أن الله تعالى توعد فيها قاتل المؤمن فيما توعده به بالخلود في النار مع أن القتل كبيرة دون الشرك)[7] ، ومن الأحاديث ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: من قتل نفسه

---

١) البيهقي: البعث والنشور، تحقيق / . محمد السعيد بسيوني زغلول الإبياني، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ ه – ١٩٨٨ م ص ٤٩ .

٢) الباقلاني : كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق /عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٨ ه – ١٩٨٧ م ص٤٢٤.

٣) للآجري : الشريعة ،٣٣٤/٣٣٥).

٤) سورة المائدة ٤٤).

٥) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ز،٦٨٧/١).

٦) سورة النساء ٩٣).

٧) الشفاعة عند المثبتين والنافين، فصل الشفاعة عند الخوارج ص١٢٤.

بحديدة فحديدته في يده يتوج أبها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً)[١]، وما جاء في صحيح مسلم من حديث حذيفة أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: (لا يدخل الجنة نمام)[٢].

الرد على هذه الشبهة من عدة أوجه كما يلي:

أولاً: أن آيات الوعيد بالخلود في النار هي للذي فعل الكبيرة واستحلها فإنه يصير باستحلاله كافراً، أما الذي فعل الكبيرة معتقداً أنها محرمة فلا تشمله آيات الوعيد، وإن دخل النار ولكن لا يخلد[٣].

ثانياً: أن نصوص الوعيد التي جاءت بالحرمان من الجنة إنما المراد منها أنهم يدخلونها بعد تطهيرهم من الذنوب لا قبلها.

ثالثاً: أن هذا الجزاء (الخلود في النار) من جنس عمل ابن آدم، وارتكابه للذنوب، ولكن الله من كرمه تفضل على الموحدين، فأخرج من النار إلى الجنة من كان في قلبه ذرة من التوحيد.

رابعاً: إن إخلاف الوعيد يجوز على الله – تبارك وتعالى – بخلاف خلف الوعد لا يجوز؛ لأن ذلك حق الله، فإخلافه في وعيده يدل على عفوه وإحسانه وإكرامه، بل أن ذلك يمدح ولا يذم.

خامساً: أن هذه النصوص وأمثالها مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة، يقال في شأنها: لا يلزم من وجود مقتضي الحكم وجوده، فإن الحكم إنما بوجود مقتضيه وانتفاء مانعه.

الشبهة الثالثة: احتجاجهم بما جاء في القرآن الكريم من الآيات النافية للشفاعة، وأنها لا تنفع العصاة يوم القيامة، وإنما تختص بزيادة درجات أهل الجنة الذين ارتضاهم الله – تعالى –، بل ونصت على ذلك المعتزلة، واستدلوا بقول الله تعالى: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ}[٤]، قالوا: (فالله تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع البتة)[٥]، أي أن أصحاب الكبائر ظالمون. وأيضاً استدلوا على قوله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا

---

١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به،٣٢/٧)،صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نعظيم قتل الإنسان نفسه،١٠٣/١).

٢)صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة،١٠٠١/١).

٣) ابن القيم : مدارج السالكين لابن القيم ،٣٩٥/١)، بتصرف .

٤) سورة غافر ١٨).

٥) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ص٦٨٩.

لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ}[1]، قالوا هنا: أن فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة، لأنة نفى أن تقضي نفس عن نفس حقاً سواء من فعل أو شرك، فنفى أن تقبل شفاعة شفيع، وقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ}[2]، وقالوا في هذه الآية الكريمة: إن هذه الآية تدل على أن الشفاعة لا تكون إلا لمن كان مرضي عند الله، وأن الكافر والفاسق ليسوا من أهلها)[3].

الرد على هذه الشبهة كما يلي:

أن ما جاء في القرآن الكريم من آيات الشفاعة إنما متعلقه بالكفار فقط، بخلاق عصاة الموحدين، فإن تواتر الأحاديث الصحيحة تثبت الشفاعة لهم، أما استدلالهم بقوله تعالى: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ}[4]، أن المراد هنا بالظالمين هم الكفار، فإن الظالم هو الكافر على الإطلاق[5]، وقولكم: إن الظالم هو الآتي بالظلم وذلك يتناول الكفار وغيره)، فالجواب عنه بوجهين:

الأول: أن كل عاقل يعلم أنه لا يوجد أحد يطيعه الله – تعالى – في هذا الوجود، والوجه الثاني: ويعتقد أن الشفيع دون المشفوع إليه أي دون الله: لأنه لو كان فوقه ليسمى آمراً أو حاكماً[6]، وقال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: (ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع منهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير)[7].

ثانياً: واستدلالهم في قوله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ}[8]، فالرد على ذلك: هو أن المراد بالأنفس في هذه الآية هي النفس الكافرة حيث قال القرطبي في تفسيره أنه: (أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا

---

١) سورة البقرة ٤٨).

٢) سورة الأنبياء ٢٨).

٣) القاضي عبد الجبار : متشابه القرآن . ص٤٩٩.

٤) سورة غافر ١٨).

٥) السفاريني : لوامع الأنوار البهية . ٢/٢١٧).

٦) الشفاعة عند المثبتين والنافين، فصل الشفاعة عند المعتزلة ص٢٠٥.

٧) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، تحقيق / ٤سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م ، ١/٧٦).

٨) سورة البقرة ٤٨).

وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ}، هي النفس الكافرة لا كل نفس)[١].

ثالثاً: أما استدلالهم بقوله تعالى: { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ }[٢]، قال الإمام السفاريني عند رده على هذه الشبهة لنفاة الشفاعة: على أنّا نقول : لا يُسلم لهم زعمهم أن الفاسق غير مرضي من جهة الإيمان والعمل الصالح، وإن كان مبغوضاً من جهة الذنوب والعصيان بخلاف الكافر فإنه ليس بمرضي مطلقاً لعدم الأساس الذي تبنى عليه الحسنات وهو الإيمان)[٣]، وقال الإمام ابن حزم رداً على من احتج بهذه الآية على إنكار الشفاعة وقصرها على المحسنين فقط: لا حجة لهم فيها، لأن من أذن الله في إخراجه من النار وأدخله الجنة وأذن للشافع في الشفاعة له في ذلك فقد ارتضاه)[٤].

الشبهة الرابعة: احتجاجهم بالأحاديث الدالة على أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – لا يشفع لبعض الناس في بعض المواطن من يوم القيامة، واستدلوا على ذلك: بحديث جابر بن عبدالله أن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال لكعب ابن عجرة : يا كعب بن عجرة أعيذك بالله من إمارة السفهاء، إنه سيكون أمراء من دخل عليهم فأعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم فليس مني، ولست منه، ولن يرد علىّ الحوض)[٥]، ووجه الاستدلال: أنه إذا لم يكن من النبي– صلى الله عليه وسلم– ولا النبي منه فكيف يشفع له النبي – صلى الله عليه وسلم – ؟،وقول النبي : (لم يرد على الحوض) دليل على نفي الشفاعة ؛ لأنه إذا منع من الوصول إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم– حتى لا يرد عليه الحوض، فمن باب أولى يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم – من خلاصه من العقاب وإخراجه من النار. -

واستدلوا أيضاً بحديث أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: (لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك)[٦]، ووجه الاستدلال هنا ما قالوه: أن هذا صريح في المطلوب ؛ لأنه إذا لم يملك له من الله شيئاً فليس له في الشفاعة نصيب.

---

١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ،٣٧٩/١).

٢) سورة الأنبياء ٢٨).

٣) السفاريني : لوامع الأنوار البهية ،٢١٧/٢–٢١٨)،

٤) ابن حزم الظاهري : كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي – القاهرة ،٦٤/٤).

٥) صحيح مسلم، كتاب ٢٢، باب٤،الجزء٢٠

٦) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الغلول،٢٢٨/٦)/صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول،٢٩٩/١٢).

الرد على هذه الشبهة:

أن الأحاديث الدالة على أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – لا يشفع في بعض مواطن القيامة، لا تنفي شفاعته بالكلية لأهل الكبائر ولا تدل على ذلك أيضاً، ومن المعلوم أن الشفاعة لا تحصل إلا بتحقيق شروطها فلعل الرسول– صلى الله عليه وسلم– لم يكن مأذوناً له في بعض المواضع وفي بعض الأوقات والأماكن والله تعالى أعلم[1].هذه هي أهم الشيه النقلية التي استدلوا بها على إنكار الشفاعة، ونفيها . أما الشبه العقلية فتتمثل فيما يلي :

الشبهة الأولى: استندوا على ما قاله القاضي عبدالجبار: (قد تعلقوا[2] بما روى عن النبي– صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) وقالوا – يعني أهل السنة والجماعة – إن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد نص على صريح ما ذهبنا إليه، فقال القاضي: وهذا الخبر لم تثبت صحته أولاً، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي – صلى الله عليه وسلم =–، ومسألتنا طريقها العلم، فلا يصح الاحتجاج به، وأن المراد هو إذا تابوا)[3]، وروي عن الإمام الباقلاني أن هذا من جملة شبههم[4].

والرد على هذه الشبهة العقلية من عدة أوجه كما يلي:

أولاً: أن هذا الحديث قد أخرجه جمع من أصحاب السنن والمسانيد عن عدد من الصحابة بل وأن هناك أحاديث أخرى صحيحة وكثيرة جداً مطولة ومختصرة في الصحيحين وغيرهما تعضده، وقد ذكرت سابقاً في الصفحات السابقة الأحاديث التي تدل على ذلك[5].

ثانياً: وأما قولكم : إنه مقيد بالتوبة، فلا يوجد دليل على تقيد الشفاعة لأهل الكبائر بالتوبة، ومن المعلوم أن التائب ذنبه مغفور– بإذن الله –، فلا يحتاج إلى شفاعة أحد، وإنما يحتاج إلى المغفرة، والشفاعة للمذنب الذي مات ولم يتب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ثبوت مغفرة الله تعالى للتائبين: (قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن

---

١) كتاب تفسير الرازي،٢/٧٠)، بتصرف مني.

٢) يقصد أهل السنة والجماعة.

٣) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ،١/٦٩٠).

٤) الباقلاني : الإنصاف ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ ص ٢٢٤.

٥) انظر ص٢٦–٢٧–٢٨.

يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ}[1]، فأخبر تعالى أنه لا يغفر الشرك، وأخبر أنه يغفر ما دونه لمن يشاء، بل لا يجوز أن يُراد بذلك التائب – كما يقوله المعتزلة – ؛ لأن الشرك يغفره الله للتائب، وما سوى الشرك أيضاً يغفره الله للتائب فلا تعلق بمشيئته هنا – سبحانه وتعالى –، ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[2]، فهنا عمم الله المغفرة وأطلقها ولم يقيدها، فإن الله يغفر للعبد أي ذنب تاب منه، فمن تاب من الشرك غفر الله له، وأيضاً فمن تاب من الكبائر غُفرت ذنوبه، بل وأي ذنب تاب العبد منه غفر الله له، ففي آية التوبة عمم وأطلق، وفي تلك الآية خصص وعلّق، فخص الشرك بأنه لا يغفره، وعلّق ما سواه على مشيئته سبحانه وتعالى)[3].

الشبهة الثانية: احتجاجهم بقول القاضي عبدالجبار والذي نصه : (ثم يقال لهؤلاء المرجئة[4] أليس أن الأمة اتفقت على قولهم : اللهم اجعلنا من أهل الشفاعة، فلو كان الأمر على ما ذكرتموه – أي أهل السنة – لكان يجب أن يكون هو الدعاء دعاء لأن يجعلهم الله تعالى من الفساق وذلك خلف)[5].

الرد على هذا الشبهة:

ويُرد على هذه الشبهة بما جاء عن القاضي عياض أنه قال: وعرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح لشفاعة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ورغبتهم فيها وعلى هذا لا يلتفت لقول من قال: إنه يكره أن تسأل الله أن يرزقك شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – ؛ لأنها لا تكون إلا للمذنبين، فإنها قد تكون – كما قدمنا – لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات ثم كل عاقل معترف بالتقصير محتاج إلى العفو غير معتد بعمله، مشفق أن يكون من الهالكين ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرحمة ؛ لأنها لأصحاب الذنوب أيضاً، وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف،حيث روى البخاري عن جابر بن عبدالله أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة

---

١) سورة النساء ٤٨).

٢) سورة الزمر ٥٣).

٣) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ،١١/١٨٤–١٨٥)، بتصرف .

٤) هم أهل السنة.

٥) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة . ،١/٦٩٢).

القائمة آت محموداً – صلى الله عليه وسلم – الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة)[١]، وقال الإمام الرازي: إن عندنا تأثير الشفاعة في جلب أمر مطلوب، وأعني به المشترك بين جلب المنافع الزائدة على قدر الاستحقاق، ودفع المضار المستحقة على المعاصي، وذلك القدر المشترك لا يتوقف على كون العبد عاصياً فاندفع السؤال)[٢]

الشبهة الثالثة: احتجاجهم بما قاله القاضي عبد الجبار: (أن الرسول إذا شفع لصاحب الكبيرة فلا يخلو، إما أن يشفّع أولاً، فإن لم يشفّع لم يجز؛ لأنه يقدح بإكرامه، وإن شفعه فيه لم يجز أيضاً ؛ لأنه قد دللنا على أن إثابة من لا يستحق الثواب قبيح، وأن المكلف لا يدخل الجنة تفضلاً)[٣].

والرد على هذه الشبهة من عدة أوجه كما يلي:

أولاً: أن إخلاف الوعيد لا يُذم بل يُمدح وهذا من حق الله – تعالى –، فيجوز عليه إخلاف الوعيد.

ثانياً: أن هناك تناقضاً بين أقوال المعتزلة : " إثابة من لا يستحق الثواب قبيح " وبين إثباتهم للشفاعة في رفع الدرجات في الجنة، فهؤلاء قد أثيبوا برفع درجاتهم في الجنة.

ثالثاً: عدم صحة ما قالوه من أن الكلف لا يدخل الجنة تفضلاً، لما جاء في الصحيحين عن عائشة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (سددوا وقاربوا وابشروا، فإنه لا يدخل أحدٌ الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة)[٤].

الشبهة الرابعة: احتجاجهم بأنهم قالوا: أليس عندكم أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يشفع إلا في مؤمن، وكذلك ما روي عنه – صلى الله عليه وسلم – حيث قال: لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن)[٥]، وأيضا ما

---

١) صحيح البخاري، كتاب الأذان،١/٦١٤) .

٢) الرازي : التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربى ــ بيروت ،٢/٦٩).

٣) القاضي عبد اتلجبار : شرح الأصول الخمسة . ،١/٦٨٩).

٤)صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل،٧/١٨٢)/صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله،٤/١٢٧١).

٥) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب السارق،٤/١٧٣).

جاء في صحيح مسلم عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (من غشنا فليس منا)[١]، فكيف يشفع الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيمن ليس بمؤمن؟!.

الرد على هذه الشبهة من عدة أوجه:

أولاً: أن هذه الأخبار لا تعارض أخبار الشفاعة، فإنها محتملة لوجوه إذا صُرفت إليها صحت.

ثانياً: المراد من قوله لا يزني ولا يسرق وهو مؤمن، أي لا يحل ذلك، فإن هذا يجمع مع قول النبي – صلى الله عليه وسلم – حيث قال: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن سرق، وإن زنا، وإن شرب الخمر)[٢].

وبهذا أكون قد انتهيت من عرضي لمذهب منكري الشفاعة لأهل الكبائر وهم (الخوارج والمعتزلة) مع ذكر شبههم النقلية منها والعقلية، والرد على ذلك بفضل الله – تبارك وتعالى – .

المطلب الثاني: الفرق التي غلت في إثبات الشفاعة وهم (القبوريون ومنها الروافض والصوفية) ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: مذهبهم في الشفاعة.

إن وجد من ينكر الشفاعة الثابتة في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وبالأخص الشفاعة في أهل الكبائر فإن هناك من يثبتها على غير الوجه المشروع، بل ويغالي في إثباتها، وهم القبوريون وهم الذين يتعلقون بالقبور وأصحابها، ويعظمونهم ويعبدونهم من دون الله – تبارك وتعالى – ويطلبون من هذه القبور الشفاعة، فقد قال تعالى عن المشركين الذين قالوا : إن أصنامهم تشفع لهم قال تعالى: {وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ}[٣] فقد قال القرطبي في تفسير هذه الآية: (وهذه غاية الجهالة منهم، حيث ينتظرون الشفاعة في المآل ممن لا يوجد منه نفع ولا ضر في الحال)[٤]، ومن الفرق التي تنتسب إلى القبوريين: فرقة الرافضة والصوفية.

فقول الرافضة في طلب الشفاعة من أصحاب القبور كما يلي: أما قولهم في الشفاعة فهم يثبتون الشفاعة، ولكن إثباتهم خاص كما في أمورهم الأخرى، ويعتقد الرافضة أن الشفاعة جائزة وواقعة يوم القيامة، وأن أهل البيت يشفعون للعصاة من

---

١) صحيح مسلم،كتاب الإيمان،باب قوله من غشنا فليس منا،٦٩/١).

٢) صحيح البخاري،كتاب الدعوات،باب ما جاء في الرقاق،١٢٠/٤).

٣) سورة يونس ١٨).

٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ،٣٢٢/٨).

شيعتهم، بل يثبتون شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – لأهل الكبائر والملائكة، بل وقد يؤذن لباقي الأنبياء والشهداء وبعض المسلمين بتلك الشفاعة[١]، وهم يستندون على ما رواه البزنطي عن الرضا – عليه السلام –أنه قال: (ما زارني أحد من أوليائي عارفاً بحقي إلا شفعت فيه يوم القيامة)[٢]، وأيضاً يستندون على ما رواه الحسن بن علي بن فضالة عن ابي الحسن الرضا أنه قال: (إن بخراسان لبقعة يأتي عليها في زمان قصير مختلف الملائكة فقال: فلا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى أن ينفخ في الصور، فقيل له يا ابن رسول الله وأية بقعة هذه؟ قال هي بأرض طوس فهي والله روضة من رياض الجنة من زارني في تلك البقعة، كان كمن زار رسول الله، وكتب الله له ثواب ألف حجة مبرورة ، وألف عمرة مقبولة، وكنت أنا وآبائي شفعاءه يوم القيامة)[٣]، فهنا يتبين لنا أن الروافض (الشيعة) يجعلون أدلة جواز الاستشفاع بالنبي في حياته قياساً على جواز طلب الشفاعة من أئمتهم في الآخرة، وهذا غلو في الأئمة، وأيضاً خلط في فهم الشفاعة في الدنيا بخلاف ذلك في الآخرة. أما الصوفية فهم يعتدون بقول الغزالي في كتاب الإحياء حيث قال: (أعلم أنه حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله – تعالى – بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء، والصديقين، بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله – تعالى – جاهٌ وحسنُ معاملة فإنه له شفاعة في أهله، وقرابته، وأصدقائه ومعارفه، فكن حريصاً على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة)[٤]، فهم أثبتوا الشفاعة بناءً على عدم تخليد مرتكب الكبيرة، ولكنهم غلو في إثبات الشفاعة، فهذا هو مذهب القبوريين (الرافضة والصوفية) في طلب الشفاعة.

المسألة الثانية: شبههم، والرد عليها.

اعتقد القبوريون أن أولياءهم من الأنبياء والصالحين سيشفعون لهم عند الله – تبارك وتعالى – لذا يسألون أرباب القبور الشفاعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : المشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين، ويصورون تماثيلهم فيستشفعون بها ويقولون: هؤلاء خواص الله، فنحن نتوسل إلى الله

١) الشفاعة عند المثبتين والنافين، فصل الشفاعة عند الشيعة ص٧٠.

٢) القمي: من لا يحضره الفقيه، صححه وعلق عليه / علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي ٢٠١٦ م ،٣١٩/٢).

٣) المرجع السابق ،٣٥١/٢).

٤) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، المكتبة التوفيقية، مصر، بدون تاريخ ،٤٨٠/٤).

بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا، كما يتوسل إلى الملوك بخواصهم؛ لكونهم أقرب إلى الملوك من غيرهم، فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك)[1].

ومن شبههم التي احتجوا بها في طلب الشفاعة من الصالحين والأولياء بعد مماتهم وطلب ذلك منهم في الآخرة ما يلي:

أولاً: احتجوا بأن الله – تعالى – قد أعطى عباده الصالحين الشفاعة، ولا مانع من سؤالهم، وأن الشفاعة هي الدعاء، والدعاء يجوز طلبه من الصالحين الأحياء منهم والأموات ولا فرق.

ثانياً: احتجوا – أيضاً – بأنه قد ثبت في القرآن الكريم أن الملائكة يدعون ويستغفرون للمؤمنين، والدعاء والاستغفار لهم لا يخرجان عن معنى الشفاعة فمعنى ذلك أنهم يشفعون.

ثالثاً: احتجوا بأنهم قالوا : لا يمكن القول بأن الله أعطى عبادة الشفاعة، ومنع طلبهم إياه، فإن الحق لا يكون طلبه باطلاً، ولكن طلب الباطل هو الذي لا يكون إلا باطلاً . هذه شبههم التي تعلقوا بها، واعتقدوا على أساسها أن آلهتهم المزعومة تنفعهم وتشفع لهم عند الله – تعالى –.

الرد على هذه الشبه من عدة أوجه كما يلي:

أولاً: أن الله تبارك وتعالى سمى اتخاذ الشفعاء شركاً، فقال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ}[2]، بل أن الشفاعة كلها لله – تعالى – حيث قال: {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا}[3]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الآية: فلا يملك مخلوق الشفاعة بحال ولا يتصور أن يكون نبي فمن دونه مالكاً لها، بل هذا ممتنع، كما يمتنع أن يكون خالقاً ورباً)[4]، وقوله تعالى: {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}[5]، نفى الله – تبارك وتعالى – الشفاعة إلا لمن أذن له هو – سبحانه – بل ولم تثبت لمخلوق أنه يملك الشفاعة بل المالك الوحيد وحده هو الله – تبارك وتعالى –، والشفاعة دعاء ولا يكون الدعاء إلا لله وحده، وكما أن إعطاء

---

١) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ،١٥٠/١).

٢) سورة يونس١٨).

٣) سورة الزمر٤٤).

٤) ابن تيمية : دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تحقيق / دكتور محمد السيد الجليند، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م ،٤٥٦/١).

٥) سورة سبأ ٢٣)

الأنبياء والأولياء الشفاعة فهذا ليس تمليكاً مطلقاً لهم، بل هو مُعلّقٌ على شروط إذا تحققت يجوز طلب الشفاعة منهم، وقد نهانا الله عن سؤالهم ودعائهم مطلقاً كما في قوله تعالى: {وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ}(١).

ثانياً: أن الشفاعة عند الله – تعالى – مقيدة بشروطها، أما شفاعة البشر فهما من دون إذنه ولا رضاه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية موضحاً ذلك: وإذا كان الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، فما بقي الشفعاء شركاء' كشفاعة المخلوق عند المخلوق، فإن المخلوق يشفع عند نظيره، أو من هو أعلى منه، أو دونه، بدون إذن المشفوع إليه، ويقيل المشفوع إليه ولابد شفاعته: إما لرغبته إليه، أو فيما عنده من قوة، أو سبب ينفعه، أو يدفع عنه ما يخشاه، وإما لرهبته منه، وإما لمحبته إياه، وإما للمعاوضة بينهما والمعاونة، وإما لغير من الأسباب)(٢)، وهذا من أعظم الفروق بين شفاعة الله – تبارك وتعالى – وشفاعة البشر.

ثالثاً: أن الله أبطل الشفاعة التي يتعلقون بها أولئك فقال تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ}(٣)، يقول ابن القيم موضحاً هذه الآية: (فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرف التي دخلوا منها إلى الشرك وسدتها عليهم أحكم سد وأبلغه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود، لما يرجو من نفعه، وإلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه به، وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود مالكاً للأسباب التي ينفع بها عباده، أو شريكاً لمالكها، أو ظهيراً أو معاوناً له، وقد يشفع عنده فإذا انتفت مواده، فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السموات والأرض)(٤).

رابعاً: أن دعاء الصالحين وطلب الشفاعة منهم في الدنيا يعتبر شركاً، ولكن إظهار الله – تعالى – شفاعتهم في الآخرة هذا هو إكرامه سبحانه لهم يوم القيامة، بل ونحن ننكر ولا نسلم أن الله قد أعطى عباده الصالحين الشفاعة في الدنيا إنما يعطيهم الشفاعة يوم القيامة بعد إذنه لهم بذلك، أما قولكم أن الشفاعة دعاء فيجوز طلبه من الأموات، فلا شك أن الشفاعة هو طلب الدعاء ولكن ليس طلبه من الموتى فلا يجوز

---

١) سورة يونس ١٠٦).

٢) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ،٣٨١/١٤).

٣) سورة سبأ٢٢).

٤) ابن القيم : الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق / علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة ١٤٠٨ هـ ،٤٦١/٢-٤٦٢).

البتة بل أن دعاء الأموات شرك كما قال تعالى: {إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}(١).

خامساً: لا يصح سؤال الملائكة الشفاعة ؛ لأن في سؤالهم ما يدعو إلى الغلو فيهم، وهم لا يقومون إلا بما أمرهم الله به من وظائفهم، ولا يجوز للمؤمن أن يتصل بهم ويسألهم ؛ لأنهم من عالم الغيب الذين لا يسمعون سؤال من سألهم، وهذا لم يفعله الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولا الصحابة رضي الله عنهم – ولا أحد من العشرة المبشرين ولا من الأئمة الراشدين. -

سادساً: فإنه لا يجوز لكل مسلم أن يسأل كل مخلوق ما أعطاه الله وأكرمه وما ملّكه إياه من أنواع الأعطيات، فلا يجوز ذلك حتى لو احتجوا بأنه لا مانع من سؤال الحلق ما أعطوا ؛ لأن طلب الحق لا يكون إلا باطلاً، ولأن سؤال الموجود لا يكون ممنوعاً، فإن كان جواب الشيعة الروافض بالإيجاب فإن جواب الناس جميعهم بالسلب.

١) سورة فاطر ١٤).

الخاتمة:

كشف البحث عن العديد من النتائج، ومن أهمها ما يلي :

١- أن الشفاعة تعني سعيك لأخر في حاجة له، وهي ثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٢- أن للشفاعة شروطاً لا تتحقق الشفاعة إلا بها وهي ثلاثة شروط: إذن الله للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع، ولا يرضى إلا على أهل التوحيد.

٣- أن للشفاعة أسباباً توصل صاحبها لنيلها : ومنها التوحيد، وإخلاص العبادة لله – تعالى –، قراءة القرآن، والصلاة على محمد وغيرها من الأسباب.

٤- أن الشفاعة على أقسامٍ : منها المثبت بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ومنها المنفي.

٥- أن المراد بالشفاعة المثبتة: هي شفاعة أهل التوحيد والإخلاص بتحقيق شروط الشفاعة، وأما الشفاعة المنفية هي كل شفاعة فيها شرك.

٦- أن للشفاعة أنواعاً : منها الخاص بالنبي – صلى الله عليه وسلم –، ومنها العام له ولغيره.

٧- أن من الشفاعة الخاصة بالرسول – صلى الله عليه وسلم – شفاعته العظمى، وهي المقام المحمود يوم القيامة، وشفاعته في أول من يقرع باب الجنة، وشفاعته في أهل الجنة، وشفاعته بتخفيف العذاب عن عمه أبي طالب .

٨- أن من الشفاعة العامة للرسول – صلى الله عليه وسلم – ولجميع المؤمنين الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وفيمن دخل النار أن يخرج منها، وأيضاً الشفاعة في رفع درجات المؤمنين.

٩- أن الخوارج قد أنكروا الشفاعة إنكاراً شديداً ؛ وذلك بسبب أصل من أصولهم وهو تكفير أهل الكبائر، وقولهم بأنه خارج عن ملة الإسلام، وأنه مخلد بالنار بخلاف المعتزلة الذين لا يخرجوه من الإسلام، ولكن يقولون بتخليده في النار، وينكرون الشفاعة في خروجهم من النار، ودخولهم الجنة.

١٠- أن القبوريين ومنهم الرافظة والصوفية يثبتون الشفاعة، ولكن يغلون في فهمها، فيطلبونها من أوليائهم بعد وفاتهم فيتضرعون للمقابر لطلب الشفاعة من أصحابها .

١١- أن أهل السنة والجماعة قد امتازوا بالوسطية في الشفاعة، فأثبتوا – دون غلوٍ أو جفاءٍ –

ما أثبته الله – تعالى –، ونفوا ما نفاه – سبحانه وتعالى –، فكانوا بذلك أوسط هذه الفرق المنتسبة للإسلام، وأعلمها وأحكمها .

هذه هي أهم النتائج التي كشف عنها البحث، وأسأل الله – تبارك وتعالى – بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يرزقنا وإياكم شفاعة نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً – المصادر :

١– الآجري : أبو بكر محمد بن الحسين : الشريعة ومعه أخلاق العلماء للمؤلف، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي، دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٤م .

٢– الأزهري أبو منصور: تهذيب اللغة، تحقيق/ محمد عوض مرعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م

٣– أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة، تحقيق / عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩ ه – ١٩٧٩م

٤– أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : مجمل اللغة، دراسة وتحقيق د/ زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥– الباقلاني : الإنصاف ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ

٦– الباقلاني : كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق /عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٨ ه – ١٩٨٧ م

٧– البخاري محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٨– البغوي : معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

٩– البيهقي : البعث والنشور، تحقيق / . محمد السعيد بسيوني زغلول الإبياني، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ ه – ١٩٨٨ م

١٠– البيهقي : شعب الإيمان، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

١١– الترمذي : الجامع الصحيح وهو السنن، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ .

١٢– ابن تيمية : دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تحقيق / دكتور محمد السيد الجليند، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م

١٣– ابن تيمية : الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

١٤- الجرجاني علي بن محمد بن علي: التعريفات، تحقيق/ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
١٥- أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري : النهاية في غريب الحديث، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م
١٦- الجوهري إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.
١٧- الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
١٨- ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
١٩- الإمام أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيت الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٢٠- ابن حزم الظاهري : كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي – القاهرة، بدون تاريخ .
٢١- الدارقطني : السنن، تحقيق : السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة، بيروت ١٢٨٦هـ/١٩٦٦م .
٢٢- الدارمي : السنن، تحقيق : فؤاد أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .
٢٣-أ بو داود : السنن، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بدون تاريخ .
٢٤- الرازي : التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربى ــ بيروت ، بدون تاريخ .
٢٥- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، بدون تاريخ.
٢٦- الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، دار الكتاب العربي ــ بيروت، ١٤٠٧ ه
٢٧- السفاريني : لوامع الأنوار البهية، ووسواطع الأسرار الأثرية ، مؤسسة الخافقين، دمشق ، بدون تاريخ .
٢٨-ابن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.
٢٩- أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، المكتبة التوفيقية، مصر، بدون تاريخ .

٣٠- الفراهيدي الخليل بن أحمد: باب العين، تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون تاريخ.
٣١- الفيروز آبادي : القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ.
٣٢- القاضي عبدالجبار : شرح الأصول الخمسة، حققه وقدم له دكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبه، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٩٦ م
٣٣- القاضي عبدالجبار : متشابه القرآن، تحقيق دكتور عدنان محمد زرزور، مكتبة دار التراث، بدون تاريخ .
٣٤- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، تحقيق / حمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م .
٣٥- ابن القيم : الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق / علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة ١٤٠٨ هـ .
٣٦- ابن القيم : حادي الأرواح إلى بلتاد الأفراح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ .
٣٧- ابن القيم : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣ ه – ١٩٧٣ م
٣٨- ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف، بيروت ١٤١٠ ه – ١٩٩٠ م
٣٩- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٤٠- الملا القاري علي بن سلطان محمد: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، المعروف بالموضوعات الكبرى، تحقيق/ محمد الصباغ، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ.
٤١- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري : لسان العرب، دار صادر، بيروت ، بدون تاريخ .

ثانياً – المراجع :

١- أخمد محمد أحمد جلي : دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين : الخوالرج والشيعة، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٠٦ ه – ١٩٨٦ م .
٢- عبد الرحمن بن حسن التميمي : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٧ ه – ١٩٥٧ م

٣- الشيخ / سالم بن حمد بن سليمان الحارثي : العقود الفضية في أصول الإباظية ، المكتبة السعيدية، الطبعة الثانية ١٤٣٨ه - ٢٠١٧ م

٤- حافظ بن أحمد بن علي الحكمي : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق / عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

٥- الشيخ / محمد الصالح بن عثيمين : القول المفيد على كتاب التوحيد، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية ١٤٣٤ هـ .

٦- محمد أحمد العدوي : الشرح الجديد لجوهرة التوحيد، مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى ١٣٦٦ هـ .

٧- القمي : من لا يحضره الفقيه، صححه وعلق عليه / علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي ٢٠١٦ م .

٨- دكتور ناصر الجديع : الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها، دار أطلس الخضراء، الرياض، الطبعة الثالثة ٢٤٣٠ ه - ٣٠٠٩ م

٩- موسم منير مبارك النفيعي : الامام محمد بن نصر المروزي جهوده في بيان عقيدة السلف، دار الوطن، مكة المكرمة، السعودية ١٤١٤ هـ .